

الكتاب والحديد

على

تارك التوحيد

١- وقول الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ).
٢- وقول الله تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

٤- وقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا).

٥- وقول الله تعالى: (سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

٦- وقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا).

٧- وقول الله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا).

٨- وروى أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت بالسيف حتى

يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري).

باب: الاستمسك بالعروة الوثقى

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى).
- ٢- وقول الله تعالى: (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا).
- ٣- وقول الله تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى فيما يضاد إسلام الوجه: (لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).
- ٥- وقول الله تعالى فيما يضاد الإحسان: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتَّخَذُوكَ حَلِيلًا). فمن أعرض عن الوحي؛ افتري.
فإسلام الوجه لله: ألا يكون في القلب غيره، ولا يلتفت لسواه، ولا يشرك معه في عبادته أحدًا أبدًا، وهو التوحيد والتجريد والتفريد والإخلاص.
والإحسان: إسلام القياد لرسوله ﷺ المعصوم فيما يبلغ عن ربه تعالى؛ فلا يشرك معه في متابعتة المطلقة أحدًا أبدًا، ولا يتقدم عليه برأي ولا هوى، وهو توحيد المتابعة والقبول والانقياد.
وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله التي يدخل بها المرء في الإسلام ثم في الإيمان ثم في الإحسان. وهي كلمة التقوى التي ألزمها الله نبيه ﷺ وأصحابه وكانوا أحق بها وأهلها.
وهذه الكلمة لها جزآن؛ كل جزء منها ينفي من القلب سبعًا.
فإذا طهر القلب أثبتت فيه سبعًا.
وقد دلَّ على جزئها الأول من آيات الله سبعٌ.
ودلَّ على جزئها الثاني من آيات الله سبعٌ.
ومن حققها فرح بها في مواطن سبعة.
ويخرج منها أبواب سبعة إلى أبواب جهنم السبعة.
وزعموا أنه يمنع من تكفير تاركها سبعةٌ.
ولوازمها الكبرى سبعة.
وأمثالها سبعة. وعجائبها سبعة.
وهاك بيانها:

باب: المنفيات السبع لجزء كلمة التقوى الأول:

كلمة (لا إله إلا الله): تنفي من القلب وتغسله من سبع:

ويجمع هذه المنفيات السبع سورة (الكافرون).

الأولى: الآلهة

١- وقول الله تعالى: (أَتُنكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا). وكلمة (اتخذوا) تدل على عمد وقصد واختيار.

٣- وقول الله تعالى عن الفتية أنهم قالوا: (هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا).

٤- وقول الله تعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ).

٥- وقول الله تعالى عن خليله إبراهيم إمام أهل التوحيد أنه قال: (أَتُنكُم آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ). وكلمة (تريدون) تدل على معنى كلمة (اتخذوا).

٦- وقول الله تعالى: (فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).

الثانية: الأرباب

١- وقوله الله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

٤- وقول الله تعالى عن لسان يوسف عليه السلام: (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ

الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

الثالثة: الأنداد والأولياء

١ - وقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ).

٢ - وفسرها بقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).

٣ - وقول الله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

٤ - وقول الله تعالى: (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلُوبًا تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).

٥ - وقول الله تعالى: (قُلْ أَتَنْتَكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ).

٦ - وقول الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا).

٧ - وقول الله تعالى: (قالوا سبحانك ما كان لنا أن نتخذ من دونك من أولياء).

الرابعة: الشفعاء والشركاء

١ - وقول الله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبَهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

٢ - وقول الله تعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَؤُكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ . قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

٣ - وقول الله تعالى: (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ).

٤ - وقول الله تعالى: (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ).

- ٥- وقول الله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ).

الخامسة: المشركين

- فكلمة التقوى تنفي المشركين من القلب وتطردهم وتورث اعتقاد كفرهم - بجميع أصنافهم - وشدة بغضهم، وهجرهم وترك مساكنتهم.
- ١- وقول الله تعالى على لسان خليله إبراهيم إمام أهل التوحيد: (كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ). فبدأ بالكفر بالعابد قبل المعبود.
- ٢- ثم اعتزل العابد قبل المعبود؛ فقال: (وَأَعْتَرَلِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا).
- ٣- وقال تعالى عن الفتية الموحدين: (وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا).
- ٤- وقال يوسف عليه السلام: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ).
- ٥- وقال شعيب عليه السلام: (قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا).

السادسة: الطواغيت ورأسهم الشيطان

- ١- وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى).
- ٥- وقول الله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنۢ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ).

- ١- وقول الله تعالى: (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).
 - ٢- وقول الله تعالى: (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).
 - ٣- وقول الله تعالى: (فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا).
 - ٤- وقول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَعَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى).
 - ٥- وقول الله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ).
 - ٦- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ . أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).
 - ٧- وقول النبي ﷺ: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم...). فسماه عبداً لبعض جنودها وهو الدرهم والدينار.
- وأعظم الدنيا (الناس) وطلب الجاه عندهم ومراعاتهم ومراءاتهم، وقول أبي طالب: (لولا أن تعيرني العرب لأقررت بها عينك). فأصبح مخلداً في النار بسبب (الناس).
- أما أهل التوحيد الخالص؛ فقال الله عنهم: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ). وغير القتال مثله لا يفعله إلا هذا الصنف.

باب: المنفيات السبع لجزء كلمة التقوى الثاني

كلمة (محمد رسول الله)، تنفي من القلب وتغسله من أعداء الرسل وهم سبعة: ويجمع هذه المنفيات السبع سورة (الكوثر).

الأول: المبتدع المفترى؛ فكل مبتدع مفتر بإطلاق، وهذا وصفه أنه (منافس الرسول).

١- وقول الله تعالى: (قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ). فليس ثمة إلا احتمالان لا ثالث لهما ونعرف الإذن من الله بالاجتهاد في أمر من الأمور بأن يكون الصحابة قد اجتهدوا فيه.

٢- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). والأمور التي لم يختلف فيها الصحابة قد تبين فيها الهدى ولم يؤذن بالاجتهاد فيها، فمن فعل فهو مشاق مفتر.

٣- وقول الله تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). فجعل الله حد الهداية؛ المماثلة لما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. وهي الفرقة الناجية، وجعل من ترك هذه المماثلة قد تولى بسبب الشقاق، وبشرنا بأنه سيكفينا إياه. وهذه الآيات الثلاث تقصم ظهور المبتدعة المفترين وتزهق باطلهم.

٤- وقول الله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ).

٥- وقول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).

٦- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ). وقول أبي قلابة رحمه الله: (هذا جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة).

٧- وفي حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد). والرد راجع إلى المحدث والمحدث، كما قال تعالى: (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ). والإعراض عنهم تصحبه الاستعاذة بالله منهم، وتعويد أمة محمد ﷺ من الرجس النجس والشيطان الرجيم وأوليائه.

الثاني: المتكلف وهذا وصفه أنه (مسابق الرسول).

- ١- وقول الله تعالى (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ).
- ٥- وقول الله تعالى: (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا).
- ٦- وقال ﷺ: (هلك المنتطعون).
- ٧- وفي حديث النفر الذين تقالوا عبادته؛ قال ﷺ: (فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني).
- ٨- وفي وصف الخوارج قال للصحابة الكرام (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ويمرقون من الإسلام). وأول حديث في صحيح مسلم (ظهر قبلنا قوم يقرأون القرآن ويتقفرون العلم).

الثالث: المتبوع بإطلاق وهذا وصفه أنه (مزاحم الرسول)

- ١- وقول الله تعالى (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني).
- ٢- وقول الله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ). قال العلماء: وهذه الآية شرف أصحاب الحديث.
- ٣- وقول الله تعالى: (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا).
- ٤- وقول الله تعالى: (فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ). فاشتراط الإحسان في متابعة غير الرسول ﷺ أيًا كان.
- ٦- وروى الدارمي في مقدمته عن علي رضي الله عنه قال: (لو أن رجلاً صام الدهر كله وقام الدهر كله، ثم قتل بين الركن والمقام؛ لحشره الله يوم القيامة مع من يرى أنه كان على هدى).

الرابع: الآرائي - ومنهم القياس وهذا وصفه أنه (ند الرسول).

- ١- وقول الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إياكم والرأي! فإن الله ردّ الرأي على الملائكة، وذلك أن الله قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، فقالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها... إلى آخر الآية، قال: إني أعلم ما لا تعلمون. وقال للنبي ﷺ: احكم بينهم بما أراك الله، ولم يقل: احكم بينهم بما رأيت). وقال رجل لعمر: (بما أراك الله، فقال: مه!! إنما هذه للنبي ﷺ خاصة). رواهما ابن المنذر في تفسيره.

٢- وقول الله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلًا).

٣- وقول الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: (وَأَرِنَا مَناسِكَنا). أي: عرفنا يارب عبادتك كيف تكون؟

٤- وقال علي رضي الله عنه: (لو كان الدين بالرأي؛ كان باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما، ولكن رأيت رسول الله ﷺ مسح ظاهرهما).

الخامس: المحتال وهذا وصفه أنه (مخادع الرسول).

١- وقول الله تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ).

٣- وقول الله تعالى عن مسخ أهل الحيل قردة وخنازير: (فَجَعَلْنَاها نَكَالًا لِّمَن بَيْنَ يَدَيْها وَمَا خَلْفَها وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ).

السادس: المخلط المتردد وهذا وصفه أنه (خائن الرسول) يريد أن يرضيه ويرضي أعداءه.

١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

وروى أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ما تلا هذه الآية؛ قال: (استقاموا والله
الله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب).

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي
رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ).

السابع: العاجز المتخاذل وهذا وصفه أنه (خاذل الرسول).

١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

٢- وقول الله تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ
أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ).

٣- وقول الله تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا
يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ).

٤- وقول الله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ).

٥- وقول الله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب).

٦- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (لولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية،
ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيأ ثم أقتل، ثم أحيأ ثم أقتل). رواه البخاري.

باب: المثبتات السبع لكلمة التقوى

كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله). إذا طهرت القلب من المنفيات فإنها تثبت فيه سبعاً ولا تنفع صاحبها في الآخرة إلا بها؛ ويجمع هذه المثبتات السبع سورة (الإخلاص) وهي:

الأولى: العلم

فيكون على علم نافع بمعنى كلمة التقوى ولوازمها ومقتضاها وأنها نفى وإثبات، والنفى قبل الإثبات، ويعرف المنفيات السبع فينفيها ثم يثبت العبادة لله وحده، وكمال الطاعة والمتابعة لنبيه ﷺ عن علم وبصيرة لا عن تقليد.

١- وقول الله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

٣- وقول الله تعالى: (وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلْيَذَكِّرُوا وَلَوْ الْأَلْبَاب).

٤- وقول الله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم).

والشاهد هنا إما موصوف بالعلم، أو من شروطه العلم.

٥- وعن عثمان رضي الله عنه مرفوعاً: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة). رواه

مسلم.

الثانية: اليقين

فيكون على يقين راسخ لا ينازعه شك ولا يخالطه ريب من استحقاق الله للعبادة وحده لا شريك له، وكذلك اليقين بنبوة محمد ﷺ ووجوب طاعته ومتابعته.

١- وقول الله تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا).

٣- وقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). وتأمل الحالات الثمان التي شرحها

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما

عبدٌ غير شاكٍّ، إلا دخل الجنة). رواه مسلم.

وفي رواية، قال: (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة).

- ٥- وعن معاذ مرفوعاً: (ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله له). رواه أحمد.
- ٦- وعن فضالة بن عبيد مرفوعاً: (ثلاثة لا تسأل عنهم: ومنهم: رجل في شك من أمر الله). رواه أحمد.

الثالثة: القبول

- فيقبل بكلمة التوحيد وما تقتضيه، ويقبل بنبوته محمد ﷺ وما تقتضيه، وهذا هو معنى الإسلام والاستسلام والرضا، وهو ركن الدين الأكبر.
- ١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).
- ٢- وقول الله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).
- ٣- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ).
- ٥- وقول الله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).
- ٦- وقول الله تعالى عن المشركين: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ آتِنَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ).
- ٧- وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً: (من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردها عليّ، فهي له نجات). رواه أحمد.

الرابعة: الانقياد

- وهو أن ينقاد ويسلم القياد لله ولرسوله ﷺ عن رضا وقبول، ويعمل بما أمر به ويحْتَنَبُ ما نُهِيَ عنه.
- ١- وقول الله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ).
- ٢- وقول الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ).

- ٣- وقول الله تعالى: (وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى). وليس السلام على من عرفه ولم يتبعه.
- ٦- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ).

الخامسة: الصدق

وهو أن يقول كلمة التقوى صادقاً من قلبه، وأن يصدق الله في الإيمان به وبرسوله ﷺ ظاهراً وباطناً.

- ١- وقول الله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى). قال ابن عباس رضي الله عنهما: صدق — (لا إله إلا الله).
- ٣- وقول الله تعالى: (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ).
- ٤- وقول الله تعالى: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ).
- ٥- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا).
- ٧- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار). متفق عليه.

السادسة: الإخلاص

وهو أن يخلص العبادة لله والمتابعة لرسوله ﷺ ولا يدخل مع الله في عبادته ولا مع رسوله ﷺ في متابعته شريكاً البتة، ويقول كلمة التقوى مخلصاً فيها.

- ١- وقول الله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ).
- ٢- وقول الله تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).

- ٤- وقول الله تعالى: (حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ).
- ٥- وقول الله تعالى: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).
- ٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه). متفق عليه.
- وجاء في كثير من ألفاظ كلمة التقوى التأكيد على الإخلاص بإردافها بجملة (وحده لا شريك له). فدلَّ على الإخلاص فيها.

السابعة: المحبة الممزوجة بالتعظيم والخوف والرجاء

- فيقول كلمة التقوى محباً لله تعالى ولرسوله ﷺ ولدينه راضياً عن الله وعن رسوله ﷺ وعن دينه معظماً وهائباً وخائفاً وراجياً.
- ١- وقول الله تعالى: (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ).
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).
- ٣- وقول الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).
- ٤- وعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحرق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله). رواه أحمد.

باب: الفرح بكلمة التقوى

كلمة (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) من أتى بمنفياها السبع ومثبتها السبع؛ فإنه سيفرحُ بها في مواطن

سبعة:

الأول: في الدنيا

- ١- وقول الله تعالى: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً). قال مجاهد: هذه النعم هي (لا إله إلا الله).
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ).
- وفضل الله: الهداية لهذه الكلمة، ورحمته: عفوه ومغفرته. قال سفيان بن عيينة: (ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة - أي: في الدنيا - أعظم من أن عرفه لا إله إلا الله).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى في شأن الذي قاتلوا لأجلها: (فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وفضل هذه الكلمة في الذكر كفضل سورة الإخلاص في القرآن؛ لأن معناهما واحد.

وجاء في الأثر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: (أن موسى عليه السلام قال: يا رب! علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى! قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب! كل عبادك يقولون هذا. قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت يا رب! إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله). رواه أحمد.

الثاني: عند الاحتضار

- ١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ).
- ٣- وقول الله تعالى: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ).

٤ - وقول الله تعالى عن أعداء كلمة التقوى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ).

٥ - وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: (مالي أراك قد شعنت واغبررت منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك ساءتلك يا طلحة إماراة ابن عمك! قال: معاذ الله! إني لأجدركم أن لا أفعل ذاك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقوها رجل عند حضرة الموت إلا وجد رُوحه لها رُوحًا حين تخرج من جسده، وكانت له نورًا يوم القيامة، فلم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمر: فأنا أعلمها، قال: فله الحمد! قال: فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمه: لا إله إلا الله. قال طلحة: صدقت). وفي لفظ قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقوها الرجل عند موته إلا كانت نورًا في صحيفته، ووجد لها رُوحًا عند الموت... ولو علم كلمة هي أفضل منها لأمره بها). رواه أحمد.

٦ - وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار). رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن.

الثالث: عند فتنة القبر

فإن هذه الكلمة تنجيه في أحد المواطن الثلاثة التي هو أحوج ما يكون فيها إلى السلام، وهي المذكورة في قوله تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا).

١ - وقول الله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ).

٢ - وقول الله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ).

٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا قال: (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن). رواه الطبراني.

٤ - وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما في حديث القبر، قال: (ويأتيه ملكان فيجلسانه؛ فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان

له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت. زاد في حديث جرير: فذلك قول الله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) الآية. فينادي منادٍ من السماء: أن قد صدق عبيدي؛ فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها. قال: ويفتح له فيها مد بصره. قال: وإن الكافر - فذكر موته - قال: وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري! فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري! فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري! فينادي منادٍ من السماء أن كذب؛ فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار). رواه أبو داود.

الرابع: في العرصات وعند تطاير الصحف

- ١ - وقول الله تعالى: (لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).
 - ٢ - وقول الله تعالى: (فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا).
 - ٣ - وقول الله تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ). وقد فسر طائفة من الصحابة والتابعين؛ منهم جابر وأنس وأبو هريرة وابن عباس وأصحابه الحسنة بأنها: كلمة التقوى لا إله إلا الله محمد رسول الله. وعن الشعبي أن حذيفة بن اليمان كان جالساً في حلقة فسألهم عن معنى هذه الآية فقالوا: الحسنة بعشر أمثالها فأخذ كفاً من حصي فضرب به الأرض وقال: تبا لكم - وكان رجلاً حديداً - ثم قال من جاء بلا إله إلا الله وجبت له الجنة ومن جاء بالشرك وجبت له النار. أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر
 - ٤ - وقول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا).
 - ٥ - وقول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهِ).
- والكتاب الذي فيه كلمة التقوى المحققة لا يكون إلا في اليمين.
- ٦ - وفي حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب من هذه الأمة، قال بعض الصحابة: (هم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا). فدل على أن المتقرر عندهم: أن لا إله إلا الله بمنفيتها ومثباتها هي أعظم وسيلة للقرب من الله. فقال النبي ﷺ: (هم الذين

لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون). وهذه من لوازمها.
وبوب عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بقوله: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة
بغير حساب ولا عذاب).

الخامس: عند الميزان

- ١ - وقول الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).
ومن حقق هذه الكلمة بمنفياها ومثبتاتها؛ فلا شيء أثقل في الميزان منها.
- ٣ - وفي المسند أن النبي ﷺ قال لأصحابه: (جددوا إيمانكم. قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: قولوا:
لا إله إلا الله، وهي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وزنت بالسموات والأرض رجحت بهن).
- ٤ - وفيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز
وجل يستخلص رجلاً من أمي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمت كتبتي الحافظون؟ قال:
لا يا رب! فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن
لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله،
وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات،
وثقلت البطاقة).

السادس: على الصراط

- ١ - وقول الله تعالى: (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا
وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا). وسادات المتقين الناجين: هم من حقق التوحيد.
- ٣ - وقول الله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ

مَثْوَى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ . وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

- ٤ - وفي الحديث الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل... الحديث). رواه مسلم.
- ٥ - وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: (إن شعار هذه الأمة على الصراط: لا إله إلا أنت). رواه الطبراني.

السابع: عند دخول الجنة

فإن أهل التوحيد يدخلون الجنة برحمة الله، ثم يتفاضلون فيها بالأعمال، ولا عمل أوثق من تحقيق كلمة التقوى لرفع الدرجات والاستقرار في الفردوس الأعلى، وفي جنة عدن - وهي قسبة الجنة وعاصمتها - قال ابن مسعود رضي الله عنه: جنات عدن: بُطنان الجنة، أي: سرّة الجنة.

- ١ - وقول الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ).
- ٤ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى! والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). متفق عليه. أي آمنوا إيماناً خاصاً وتصديقاً خاصاً.
- ٥ - وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً قال: (من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق؛ أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء). رواه أحمد والبخاري ومسلم.
- ٦ - وفي حديث عبدالرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة منامه الطويل، وفيه قال: (ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة). رواه الطبراني.

باب: أمثال كلمة التقوى

كلمة التقوى بمنفاتها ومثبتاتها لها سبعة أمثال عجبية في القرآن والسنة، وهي المثل الأعلى في السموات والأرض؛ فالمثل الأعلى هو الوصف الكامل، وأعظم وصف لله هو أنه لا إله إلا هو؛ كما جاء ذلك في آية الكرسي: (اللَّهُ؛ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ).

الأول: أنها كالشمس المحرقة

فكلما زاد نورها في القلب طرد الشيطان ووسواسه، وأحرق الشبهات والشهوات.

- ١ - وقول الله تعالى عن الشيطان: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ). وفي قراءة بكسر اللام.
- ٢ - وقول الله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ).
- ٣ - وقال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: (إيها يا ابن الخطاب! ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فحك). رواه أحمد والبخاري. وقال: (إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر!). رواه الترمذي.

الثاني: أنها كالقمر المضيء

- ١ - وقول الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).
 - ٢ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).
 - ٣ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا).
 - ٤ - وقول الله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ).
 - ٥ - وقول الله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ). وهو انتفاع المنافقين بها في الدنيا.
 - ٦ - وقول الله تعالى: (لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).
 - ٧ - وقول الله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).
- قال السدي: (يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم).

الثالث: أنها كالشجرة الطيبة

- ١- وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ). والكلمة الطيبة هي قول لا إله إلا الله.
- ٢- وقول الله تعالى: (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا).
- ٣- وقول الله تعالى عن أهلها: (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ).
- ٤- وقول الله تعالى عن كلمة الفجور: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ).
- ٥- وقول الله تعالى عن أهل كلمة الفجور: (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق). أي لا أصل له ولا فرع.

الرابع: أنها كالعروة الوثقى وطوق النجاة

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).
- ٢- وقول الله تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا). قال أبو العالية: (حبل الله: إخلاص التوحيد لله).
- ٤- وقول الله تعالى عن مؤمن آل فرعون: (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ). والنجاة هي لا إله إلا الله؛ قال مجاهد: (أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ) أي: الإيمان بالله.
- ٥- وقول الله تعالى: (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا). قال ابن عباس: العهد: لا إله إلا الله.
- ٦- وعن قيس بن عباد، قال: (كنت جالسًا في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة! فصلى ركعتين وتجاوز فيهما، ثم خرج وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد، قالوا: هذا رجل من أهل الجنة! قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك؛ رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه:

رأيت كأني في روضة - ذكر من سعتها وحضرتها - وسطها عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: ارقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني منصف فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت بالعروة، فقيل لي: استمسك. فاستيقظت وإنما لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ قال: تلك الروضة: الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: العروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت. وذلك الرجل عبد الله ابن سلام). رواه أحمد والبخاري.

الخامس: أنها كالحصن الحصين

- ١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً). والسلم: الإسلام
- ٢- وقول الله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).
- ٣- وقال تعالى عن المشركين: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ).
- ٤- وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات، أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن ييطىء، فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي! إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يُخسف بي. قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، فقعده على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن. منها: وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً، وإن مثل ذلك كمثله رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً، فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل). رواه أحمد. وأعظم الذكر: كلمة التقوى.
- ٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله). رواه أحمد.

السادس: أنها كالدرع الواقى

- ١- وقول الله تعالى: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً). وهو انتفاع المنافقين بها في الدنيا.
- ٢- وعن أسامة بن زيد، قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جُهينة، قال: فصبحناهم فقاتلناهم، فكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال: فغشيتة أنا ورجل من الأنصار، قال: فلما غشيناها، قال: لا إله إلا الله! فكف عنه الأنصاري وقتلته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: يا أسامة! أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً من القتل. فكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ). رواه أحمد
- ٣- وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: (من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، فلا تخفروا الله في ذمته). وفي لفظ: سئل أنس بن مالك قيل له: يا أبا حمزة! ما يحرم دم العبد وماله؟ فقال: من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا؛ فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم). رواه البخاري معلقاً.
- ٤- وعن عياض الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا إله إلا الله: كلمة حق على الله كريمة، ولها من الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذباً حقت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غداً فحاسبه). رواه البزار ورجاله ثقات.

السابع: أنها كهادي الطريق

- ١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ). قال مجاهد: يكون الإيمان والتوحيد نوراً يمشون به.
- ٢- وقول الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ).
- ٤- وقول الله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) أي اهتدوا لها.
- ٥- وقول الله تعالى عن المشركين: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا. إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا).
- ٦- وقال: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

باب: عجائب كلمة التقوى

هذه الكلمة لها عجائب تزيد اليقين بها ومحبتها، ومن هذه العجائب سبعة:

الأول: أنها ذكراً وشكراً ودعاءً واستغفاراً، كما أن الفاتحة - وهي أم القرآن - قراءة ودعاء وذكور.

١ - وقول الله تعالى عن يونس عليه السلام أنه دعا واستغاث الله بها: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ). ومثله حديث دعاء الكرب.

٢ - وفي الحديث: (خير الدعاء دعاء عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله). وتقدم قول موسى عليه السلام: (علمني دعاء أدعوك وأذكرك به).

٣ - وفي الأثر: (عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فأكثروا منهما فإن إبليس قال: أهلكتم الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار).

٤ - وعن كعب الأحبار، قال: (قال موسى: يا رب! دلني على عمل إذا عملته كان شكراً لك فيما اصطنعت إليّ. قال: يا موسى! قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. قال: فكأن موسى أراد من العمل ما هو أهمك لجسمة مما أمر به). رواه ابن أبي شيبة.

الثاني: أنها يجزأها سبع كلمات - والله وتر يجب الوتر-، وتكرر فيها اسم (الله) مرتين، وهو أحب الأسماء إليه سبحانه وتعالى. وحروف (لا إله إلا الله) هي نفسها حروف لفظ الجلالة فكأنها تفصيل له ، كما أن هذا الاسم قد جمع معاني الأسماء الحسنى كلها.

الثالث: أنها يجزأها (٢٨) حرفاً عدد أحرف الهجاء ، ومع ذلك فكلمة (لا إله إلا الله) أحرفها ثلاثة فقط وكلها جوفية ، ليس للشفتين منها نصيب. قال بعض الحنابلة: "وهو إشارة إلى أنها لا تنفع إلا إذا صدرت من الجوف وأما إذا كانت على طرف اللسان فليست بمنجية".

الرابع: أنه يمكن النطق بها دون تحريك الشفتين، فيستحيل الإكراه على تركها، ويسهل معها الإخلاص وترك الرياء؛ حيث تنطق جهره أو خفية.

الخامس: أن نطق العربي والأعجمي بها متقارب بخلاف غيرها من الذكر.

السادس: أن نطق الفصيح والألثغ والأثرم بها متقارب؛ لانعدام حروف الهمس، والحروف التي تظهر بها عيوب اللسان.

السابع: أنها خالية من النقط؛ فتسلم من التصحيف والتحريف، ولا تحتاج لعناية في ضبطها.

باب : لوازم كلمة التقوى الكبرى

كلمة التقوى تستلزم الدين كله، ولكن لها لوازم كبرى وهي سبعة:

الأول والثاني: الصلاة والزكاة

وقد أتت مقترنة في القرآن في ثمانين موضعاً، وكثيراً ما تأتي مقرونة بالتوحيد.

- ١ - وقول الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ).
- ٤ - وقول الله تعالى: (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى).
- ٥ - وقول الله تعالى: (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).
- ٦ - وقول الله تعالى: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ). قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: (الزكاة هي التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله).
- ٧ - وقول الصديق رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال). وقد أجمع الصحابة إجماعاً قطعياً على أن تارك الصلاة كافر كافرًا أكبر كتارك التوحيد سواء بسواء. وأجمع الصحابة إجماعاً قطعياً على أن مانع الزكاة إن امتنع وقاتل عليها؛ فهو كافر.
- ٨ - وعن جابر رضي الله عنه: (بين الرجل وبين الشرك والكفر؛ ترك الصلاة). رواه مسلم.
- ٩ - وعن بريدة بن الحصيب الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر). رواه أحمد.
- ١٠ - وعن طارق بن شهاب، قال: (لما صالح أبو بكر رضي الله عنه أهل الردة، صالحهم على حرب مجلية أو سلم مخزية؛ قالوا: قد عرفنا ما الحرب المجلية، فما السلم المخزية؟! قال: أن تشهدوا أن قتلنا في الجنة وأن قتلاكم في النار؛ ففعلوا).
- ١١ - وعن علي رضي الله عنه، قال: (إن الإسلام ثلاث أثنافي: الإيمان والصلاة والجماعة، فلا تقبل صلاة إلا بإيمان، ومن آمن صلى، ومن صلى جامع - أي: دخل في الجماعة). رواه ابن أبي شيبة.

الثالث والرابع والخامس: الهجرة والجهاد والحج

كثيراً ما تقترن الهجرة والجهاد والحج في كتاب الله وسنة نبيه بالتوحيد.

والهجرة من الجهاد؛ لقول الله للمهاجرين: (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي).

والحج من الجهاد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: (قلت: يا رسول الله! هل على النساء من

جهاد؟ قال: نعم، عليهن جهادٌ لا قتال فيه: الحج والعمرة). رواه أحمد.

وفي حديث أم معقل رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: (الحج في سبيل الله).

وبين هذه العبادات الثلاث تشابه فريد وارتباط عجيب؛ فكل منها فيه: بذل النفس والمال، ومفارقة

الأهل وترك الأوطان، وإتباع الأبدان وإنشاء الرواحل.

١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

٢- وقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ).

٤- وقول الله تعالى: (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

٥- وقول الله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

٦- وعن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه: (سمعتُ النبي ﷺ يقول: إنَّ الشيطانَ قَعَدَ لابنِ آدمَ بأطرقه، قَعَدَ في طريقِ الإسلامِ، فقال: تُسَلِّمُ وتَدْرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ وآباءِ آبائِكَ؟ فعصاه وأسلم، وقَعَدَ له بطريقِ الهجرة، فقال: تُهاجِرُ وتَدْرُ أرضَكَ وسماءَكَ؟- وإنما مثَلُ المهاجرِ كَمَثَلِ الفرسِ في الطَّوْلِ- فعصاه فهاجر، ثم قَعَدَ له بطريقِ الجهاد، فقال: تُجاهِدُ؟- بالنفسِ والمال- فُتْقَاتِلُ فُتُقْتَلُ، فُتَنْكَحُ المرأةَ ويُقَسَمُ المالُ؟ فعصاه فجاهد، قال رسول الله ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَّتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ). أخرجه النسائي.

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سئل رسول الله ﷺ: (أي الأعمال أفضل، وأي الأعمال خير؟ قال:

إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم أي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله سنام العمل. قيل: ثم

أي يا رسول الله؟ قال: حج مبرور). وفي لفظ قال: (أفضل الأعمال عند الله: إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور). رواه أحمد.

٨- وعن عبدالرحمن بن شماسه المهري، قال: (حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه! أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا، أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا، قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نُعِدّه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، ولو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ابسط يمينك، فلأبأبعك. فبسط يمينه، فقبضت يدي. قال: ما لك يا عمرو؟! قال: قلت: أردت أن أشرط! قال: تشرط ماذا؟! قلت: أن يُغفر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله). رواه مسلم.

وعن كعب، قال: (الحاج، والمعتمر، والمجاهد في سبيل الله). رواه ابن أبي شيبة.

وفي الحج المشي على خطوات إبراهيم عليه السلام - شيخ الملة وإمام أهل التوحيد - فيكون تعويداً على المشي على خطواته في جميع تفاصيل الملة ولوازمها. وهو قول الله تعالى: (وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ). فمن معانيها: اتخذوا من مقامات إبراهيم السبعة مكاناً للذكر والدعاء؛ وهي:

الأول: خلف المقام بعد الطواف.

الثاني: على الصفا.

الثالث: على المروة.

الرابع: على صعيد عرفات.

الخامس: عند المشعر الحرام.

السادس: عند الجمرة الأولى.

السابع: عند الجمرة الوسطى.

وقد شرعت قراءة سورتا التوحيد (الكافرون والإخلاص) في المقام الأول.

وشرعت (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا

الله أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده) في المقام الثاني والثالث.

وشرع قول: (لا إله إلا الله) في باقي المقامات، وهي خير ما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله.

السادس: الصيام وهو الصبر

- ١ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) إلى قوله: (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) إلى قوله: (وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ) إلى قوله: (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).
- ٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان). رواه أحمد والبخاري ومسلم.
- ٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به). رواه أحمد والبخاري ومسلم.
- ٦ - وقال علي رضي الله عنه: (خمس احفظوهن، لو ركبتم الإبل لأنضيتموهن من قبل أن تصيبوهن: لا يخافن عبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، ولا يستحي جاهل أن يسأل، ولا يستحي عالم إن لم يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له). وعند ابن أبي شيبة، قال: (فإذا ذهب الصبر؛ ذهب الإيمان).

السابع: الولاء والبراء والحب والبغض

- ١ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).
- ٤ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ). وأشد منهم عباد الأوثان. قال حذيفة عند هذه الآية " ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر".
- ٥ - وعن البراء بن عازب، قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال: أوثق عرى الإيمان أن تحب في

الله، وتبغض في الله). رواه أحمد. وفي لفظ قال: (أحب الأعمال إلى الله عز وجل: الحب في الله والبغض في الله). وفي لفظ: (من أعطى الله تعالى، ومنع الله تعالى، وأحب لله تعالى، وأبغض لله تعالى، وأنكح لله تعالى، فقد استكمل إيمانه).

وعن كعب، قال: (من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع؛ فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله؛ فقد استكمل الإيمان). رواه ابن أبي شيبة.

٦- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يوقد له نار فيقذف فيها). رواه أحمد والبخاري ومسلم.

٧- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أحب لله، وأبغض لله، وعاد في الله، ووال في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم في أمر الدنيا، وذلك ما لا يجزي عن أهله شيئاً يوم القيامة). رواه نعيم بن حماد في الزهد. وفي السنة للالكائي أنه قرأ عند ذلك: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)، وقرأ: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ).

٨- وعن الوضين بن عطاء، قال: أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام: (إني مهلك من قومك مائة ألف وأربعين ألفاً من شرارهم، وثلاثين ألفاً من خيارهم، قال: يا رب! تهلك أشرارهم، فما بال خيارهم؟! قال: (إنهم يؤاكلونهم ويشاربونهم؛ لا يغضبون لغضبي ولا يرضون لرضاي).

باب: أدلة جزء كلمة التقوى الأول:

كلمة (لا إله إلا الله) ومعناها أوضح شيء في الوجود، ولا يتصور الجهل بها، إنما هو التولي والإعراض، ومثل الجاهل بما كمثل الذي يصلي في الحجر أو خلف المقام، مستدبر القبلة، وهو عاقل بصير، ثم يزعم أنه لم يعرف القبلة!

وقد أقام الله عليها حجتين؛ حجته الأولى، وحجته الأخيرة:

وقول الله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ).

فأما حجة الله الأولى الظاهرة الباهرة القاهرة: فهي عصمة الله التي عصم بها كل آدمي - مطلقاً - من الوقوع في الشرك، ولو عاش في الدنيا ولم ير من البشر غير نفسه. وهي عصمته العامة وهي حجته البالغة. وأما عصمته الخاصة فهي رحمته يصيب بها من يشاء، كهدايته العامة والخاصة، ونوره العام والخاص.

وقول الله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أي: هادي أهل السماوات والأرض). ثم قال بعدها: (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ). وهو الخاص، كقوله تعالى: (يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).

وهذه الحجة الأولى: هي المؤسسة للتوحيد في قلوب العباد. والحجة الثانية إنما هي مذكرة بها.

والحكم بالشرك والكفر والنار وعذاب الآخرة مُرتبٌ على الحجة الأولى، وأما عذاب الدنيا بالخزي أو القتال أو القتل فمُرتبٌ على الحجة الثانية.

وهذه الحجة الأولى تشتمل على آيات ست، هي عصمة للخلق من الوقوع في الشرك، كل ثلاث منها في مجموعة وهي:

المجموعة الأولى: (المصباح - وهو: الفؤاد وغريزة العقل - وآيات الأنفس وآيات الآفاق).

وجمعت هذه الثلاث في مجموعة واحدة؛ لأن الآيات وقود المصباح، والمصباح هو سبب الانتفاع بها، فعلاقة بعضها ببعض كعلاقة العمل الصالح بالإيمان؛ فهو يزيد الإيمان والإيمان كذلك يزيده.

المجموعة الثانية: (الصراط - وهو الفطرة - والواعظ - وهو لمة الملك - والميثاق) وقد جمعها بعضهم بقوله:

علينا من الرحمن بالوحي ستة
ففي الصلْبِ ميثاقٌ وفي النفس آيةٌ
من الحجج الأولى أدين بها البشرُ
وفي القلبِ مصباحٌ وفي الأفقِ معتبرٌ
وفي فطرة الهادي صراطٌ وواعظٌ
وفي الرسلِ قطعٌ للحجاج مع التذُرُ

واختصرها بعضهم فقال:

بالعقلِ والأنفسِ والآفاقِ
واللِّمَّةِ والفِطْرَةِ والميثاقِ

الآية الأولى: المصباح

أنشأ الله لكل آدمي فؤاداً وهو لبُّ القلب، وجعل فيه غريزة وهي العقل؛ فالعقل في القرآن والسنة ليس جوهرًا قائمًا بذاته، بل هو غريزة في الفؤاد تعقل صاحبها عن الشر وتحمله على الخير، وتعقل له العلم ليعمل به، فهو مأخوذ من عقال الإبل ومشابه له تمامًا. وعدو العقل الهوى فإذا غطى عليه عطّله.

١ - وقول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ).

وأعظم الشكر: التوحيد وترك الشرك؛ كما قال يوسف عليه السلام لما ذكر ملة إبراهيم: (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ).

٢ - وقول الله تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا).

فالسمع والبصر هما الممر، والفؤاد هو المقر، وأول ما يسأله عنه التوحيد وترك الشرك.

٣ - وقول الله تعالى: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا

أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

فجحود باقي الآيات الست وعدم النظر فيها؛ يسبب تعطل الفؤاد. وإذا تعطلت عن معرفة الحق، ابتلاها الله بالإصغاء للباطل.

٤ - وقول الله تعالى: (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ).

٥ - وقول الله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ).

٦ - وقول الله تعالى: (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ). كما كانت في الدنيا فارغة من الحق.

٧ - وقول الله تعالى: (نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ). فلا بد من إحراق الآلات المعطلة الجاحدة؛ لذلك تطلع النار الكبرى على الأفئدة.

٨ - وقول الله تعالى عن غريزة الفؤاد وهي العقل: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

٩ - وقول الله تعالى: (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).

١٠ - وقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ). والرجس هو الشرك النجس وهو العذاب ويجعله الله على من تعطل عقله.

١١ - وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ).

- ١٢ - وقول الله تعالى عن المشركين: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ).
- ١٣ - والهوى عدو العقل؛ قال تعالى: (فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).
- ١٤ - وقول الله تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا).

وإنما كانت الرسل تقيم أدلة التوحيد باستثارة العقول وإزاحة الهوى عنها كما في هذه الآيات:

قول الله تعالى عن خليته إبراهيم إمام التوحيد: (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ . أَفُ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

وقوله: (يَأْتِيكَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا).

وقوله: (فلما أفل قال لا أحب الآفلين).

الآية الثانية: آيات الله في الأنفس

جعل الله في الأنفس آيات تدل على التوحيد وتأخذ بخناق المشرك- ولو لم يأته رسول-، نختار منها سبعة:

الأولى: خلق الإنسان يدل على التوحيد

- ١- وقول الله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ). وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور- وفي رواية: وأنا مشرك- فلما بلغ هذه الآية: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ - أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ). قال: كاد قلبي أن يطير). رواه أحمد والبخاري.
- ٢- وقول الله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَتَى تُصْرُفُونَ). أي: فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك.
- ٣- وقول الله تعالى عن نوح وهو أول رسول أرسله الله للبشر: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا - وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا).

ثم ثنى بآيات الآفاق فقال: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا - وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا).
ثم رجع للأنفس فقال: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا - ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا).
ثم رجع للآفاق فقال: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا - لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا).
ثم قال: (رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا).

الثانية: رجوع الإنسان عند الشدائد للتوحيد الذي كان يخفيه.

فإذا جاء يوم القيامة (بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ).

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ - ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ - قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ).

الثالثة: إقرار الإنسان بتفرد الله الربوبية ثم يجحد تفرده بالألوهية

- ١- وقول الله تعالى: (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ مَنْ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ).

الرابعة: شعور كل مشرك بالخزي والمهانة إذا سئل عن قدرة معبوده من دون الله

- ١- وقول الله تعالى عن خليله إبراهيم إمام أهل التوحيد: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون).
- ٢- وقول الله تعالى عن خليله: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ).

أي: اذكروا صفاتهم وقدراتهم، فيشعر عبادهم بالخزي والمهانة.

- ٥- وقول الله تعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ).

الخامسة: كون الإنسان لا يرضى الشرك لنفسه فكيف يرضاه لربه؟!!

- ١- وقول الله تعالى: (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).
- ٢- وفي حديث الحارث الأشعري مرفوعاً: (قال يحيى عليه السلام: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن. أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، ومثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً بخالص ماله، بذهب أو ورق، فقال له: هذه داري وهذا عملي، فجعل العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده هكذا؟ وإن الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً). رواه أحمد.

السادسة: أن المشرك إذا طُلب بالدليل والسلطان والبرهان على شركه؛ فلا يقدر على ذلك البتة.

- ١- وقول الله تعالى الفتية الموحدين: (هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ

بَيْنَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا).

٢- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى).

السابعة: أن الشرك ظلم عظيم ووضع للشيء في غير موضعه

وكل إنسان قد فطر على معرفة الظلم والعدل، لولا الهوى.

١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

٢- وقول الله تعالى عن كلمه موسى عليه السلام: (لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ).

٣- وقول الله تعالى عن فرعون أنه قال عند الغرق: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

٤- وقول الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ).

الآية الثالثة: آيات الله في الآفاق

لله في الآفاق آيات كلها تقود للتوحيد وتدل عليه نختار منها سبعة:

الأولى: الأدلة الأربعة

وهي المجموعة في قوله تعالى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى - الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى - وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى).

ومعنى (سبح) أي: نزه ربك الأعلى عن الإشراك؛ لأنه فاعل هذه الأربعة.

١ - وقول الله عن الخلق على لسان خليله إبراهيم إمام أهل التوحيد: (بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ).

٢ - وقول الله تعالى عن الموحدين: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ).

٣ - وقول الله تعالى عن التسوية وهي الإتيان والإحسان: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ).

٤ - وقول الله تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ).

٥ - وقول الله تعالى عن التقدير وهو الميزان لكل مخلوق بما يصلحه: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا).

٦ - وقول الله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

٧ - وقول الله تعالى: (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا).

٨ - وقول الله تعالى على لسان موسى وهارون عن الهداية، وهي هداية كل مخلوق لما يصلحه: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى).

٩ - وقول الله عن خليله إبراهيم إمام أهل التوحيد: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ).

الثانية: الوظائف الثلاث

من آيات الله في الآفاق الدالة على التوحيد قيام المخلوقات كلها - من حملة العرش فما دونهم - بثلاث وظائف كبرى:

الأولى: تسبيح الله تعالى وتنزيهه عن كل سوء - وأعظمه الإشراك به -.

١ - وقول الله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).

٢ - وقول الله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ).

٣ - وقول الله تعالى: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ).

٤ - وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ). وبدأ سوراً من القرآن بالتسبيح فهي (المسبحات).

الثانية: الحمد

- ١ - وقول الله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (ويسبح الرعد بحمده).

الثالثة: السجود

- ١ - وقول الله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ).
- ٤ - وقول الله تعالى: (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظُلُمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ).
- ٥ - وأنكر الهدهد على من سجد لغير الله فقال: (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ).

الثالثة: عقوبات الأمم السابقة

أمر الله بالسير في الآفاق والنظر في عقوبات الأمم السابقة، والبحث عن سبب هذه العقوبات

- ١ - وقول الله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ - فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ - وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (فَكَأَيُّنَ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ - أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

الرابعة: العناية بالآدميين خاصة

أشارت آيات كثيرة إلى أن ما في الكون مخلوق مسخر للبشر؛ ليحسنوا عبادة ربهم، فالانصراف عن الله والإشراك به بعد هذا غاية الندالة، وتأمل كلمة (لكم) في الآيات.

١ - قول الله تعالى: (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة).

٢ - وقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ).

٣ - وقول الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فذكروا ليلة القدر فنكلم منهم من سمع فيها بشيء مما سمع فتراجع القوم فيها الكلام فقال عمر رضي الله عنه مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم تكلم ولا تمنعك الحداثة قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقلت يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى وتر يحب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع، وجعل فوقنا سبع سموات، وخلق تحتنا سبع أرضين، وأعطى من المثاني سبعا، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث في كتابه على سبع، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعا، وبين الصفا والمروة سبعا، ورمي الجمار سبع لإقامة ذكر الله، في أشياء كثيرة ذكرها، قال عمر: كيف خلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع، فقد فهمت من هذا شيئا لم أفهمه قال: قول الله: (لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله: (فتبارك الله أحسن الخالقين)، ثم ذكر رزقه فقال: (إنا صببنا الماء صبا) إلى قوله: (وفاكهة وأبا) فالأب ما أنبت الأرض للأنعام، والسبعة رزق لبي آدم. قال: فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان والله أعلم قال: فعجب عمر رضي الله عنه وقال: ما وافقني فيها أحد إلا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: التمسوها في العشر الأواخر ثم قال: يا هؤلاء من يؤدِّي في هذا كأداء ابن عباس. أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي. ومعنى قسم الميراث على سبع أي الثمن والربع والنصف والسدس والثالث والثلاثان والتعصيب.

الخامسة: تعداد النعم وأنها لأجل التوحيد

فلاستعانة بنعم الله على الشرك والمعصية غاية الظلم ولا يرضاه الإنسان لنفسه.

١ - وقول الله تعالى: (اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

٢ - وقول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَالِكُمْ وَتُنشَأَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ - أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ - لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ - إنا لمغرمون - بل نحن محرومون - أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ - أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ - لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ - أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ - أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ - نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ).

٣ - وقول الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ).

السادسة: طبائع البشر وأن الأصل فيهم الجحود

والشرك أعظم جحود لنعمة الله، فمن تفكر في طبائعهم لم يستغرب وقوع الشرك منهم.

١ - وقول الله تعالى: (إن الإنسان لربه لكنود).

٢ - وقول الله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار).

٣ - وقول الله تعالى: (وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ).

٤ - وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ).

٥- وقول الله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

السابعة: الإقرار الفطري أن الإله المعبود لا بد له الوحدانية والقهر

١- وقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام لما جادلهم بالعقل والفطرة: (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ

مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).

٣- وقول الله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). والقهار لا يكون إلا واحداً.

٤- وقول الله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا).

٥- وقول الله تعالى: (إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

ولذا من تمام ملكه ووحدانيته وقهره؛ نزع الوحدانية والقهر من الخلق.

٦- وقول الله تعالى عن نزع الوحدانية: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ).

٨- وقول الله تعالى عن نزع القهر: (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ).

٩- وقول الله تعالى: (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

فهذا الإقرار أمر فطري، وإنما حملهم الهوى أن يقولوا: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ).

ويدل على الهوى حديث حصين الخزاعي والد عمران بن حصين، عندما قال له النبي ﷺ حين أسلم:

(كم كنت تعبد؟ قال: سبعة، واحد في السماء، وستة في الأرض، قال: فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟

قال: الذي في السماء). رواه أحمد والترمذي.

المجموعة الثانية من الآيات الست وهي (الصراط والواعظ والميثاق).

الآية الرابعة: الصراط

فطر الله صراطاً مستقيماً، وفطر كل آدمي عليه حين يولد؛ وهي الفطرة، فإن ترك هذا الصراط ومات قبل البلوغ والرشد؛ فأمره إلى الله - والله أعلم بما كانوا عاملين - وإن استمر على ترك الصراط بعد التكليف؛ فهذه أعظم حجة عليه. ولا عذر له بتقليد ولا بيعة ولا غير ذلك فالصراط سابق لذلك.

- ١ - وقول الله تعالى: (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ).
- ٢ - وقول الله تعالى عن صاحب يس: (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).
- ٣ - وقول الله تعالى عن خليله إبراهيم إمام أهل التوحيد: (إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ - إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي).
- ٤ - وقول الله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ). قال مجاهد: صبغة الله: الإسلام، فطرة الله التي فطر الناس عليها.
- ٥ - وقول الله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).
- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تبديل لخلق الله): لا تبديل لدينه، كقوله عن الشيطان: (وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيعَبِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ).
- ٦ - وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نخلته عبداً حلالاً، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة! قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُعْرَكَ، وأنفق فسننق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك). رواه مسلم.
- ٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). متفق عليه.

- ١- وقول الله تعالى عن الشيطان: (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ).
- وفيه أن الخلق كلهم عليه ابتداء.
- ٢- وقول الله تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كَبُونَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ - وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ). وفي هذه الآية الجمع بين الميثاق والصراط.
- ٤- وقول الله تعالى: (قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ - مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ - مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ - ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ).
- ٥- وقول الله تعالى: (بَلْ زَيْنَ لَلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءَ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ - قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ).
- ٨- وقول الله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا).
- ٩- وقول الله تعالى: (وَعَادَا وَتَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ).
- ١٠- وفي حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، -وفي لفظ أنه قرأ قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه! فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم). رواه أحمد.

الآية الخامسة: الواعظ

وهو لمة الملك المضادة للمة الشيطان، ومنها عام لكل آدمي، ومنها خاص لمن شاء الله أن يدخله في رحمته.

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ). والوحي هنا: كلام الملك في قلب العبد بإلهام أو لمة أو رؤيا.
- ٢- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً). وأعظم الحفظ: العصمة من الشيطان الرحيم وشركه.
- ٤- وحين يحتج الإنسان على قرينه الشيطان يوم القيامة يجيبه بقوله: (رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ). لأن معه ملكاً يضاد الشيطان فعصاه.
- ٥- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن للشيطان لمة بآدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فيإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان. ثم قرأ: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). رواه الترمذي.
- ٦- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: (لما أهبط آدم قال: رب! هذا العبد - أي: إبليس - الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تُعني عليه لا أقوى عليه، قال الله: لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكاً. قال: رب زدني، قال: أجازي بالسيئة السيئة وبالحسنة عشر أمثالها إلى ما أريد. قال: رب زدني، قال: باب التوبة له مفتوح ما دام الروح في الجسد. قال إبليس: يا رب! هذا العبد الذي كرمته علي إن لم تُعني عليه لا أقوى عليه، قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد. قال: يا رب زدني، قال: تجري منه مجرى الدم وتتخذ من صدورهم بيوتاً. قال: رب زدني، قال: أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد). رواه ابن أبي الدنيا.

ومن اللمة الخاصة:

- ١- قوله تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ).
- ٢- وقول الله تعالى للملائكة: (أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا).

الآية السادسة: الميثاق

من أعظم الآيات الدالة على التوحيد أن الله سبحانه - المنزه عن العبث، وعن عدم الصدق، وعن مخاطبة غير المكلفين - ذرأ الخلق كلهم في وادي (نعمان) من أودية (هذيل) بين مكة والطائف، ثم أخذ عليهم العهود والمواثيق ألا يشركوا به شيئاً، فأقروا وشهدوا وأشهدوا، وجعل هذا حجة عليهم إلى يوم القيامة . قال قتادة: (ذكر الله الميثاق في بضع وعشرين آية، نصيحة لكم وتقدمة إليكم وحجة عليكم) رواه ابن أبي حاتم. ١ - وقول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ - أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ - وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

قال أبي بن كعب رضي الله عنه الذي أمر الله رسوله ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة - وهي في موضوعنا هذا فكان أفقه الناس فيه - ، وقال فيه رسول الله ﷺ: (ليهنك العلم أبا المنذر!) : (أخرجهم جميعاً فجعلهم أرواحاً في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى! قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة: إنا لم نعلم بهذا! اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئاً؛ وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي هذا ، وأنزل عليكم كتيبي، قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا، ورفع عليهم آدم ينظر إليهم). أخرج عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند، وابن أبي حاتم، وابن جرير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وتكفل لهم بالأرزاق، ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطي الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوقى به، نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به، لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر، مات على الميثاق الأول على الفطرة).

٢ - وقول الله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ - فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ).

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (صاروا يوم القيامة فريقين، فقال لمن اسود وجهه، وعيبرهم: (أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)، قال: هو الإيمان - الذي كان قبل الاختلاف - في زمان

آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقروا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: (أكفرتهم بعد إيمانكم)، يقول: بعد ذلك الإيمان الذي كان في زمان آدم. وقال في الآخرين الذين استقاموا على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: (أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ). أي: (بعد الإقرار والميثاق بالله عز وجل). أخرجه البيهقي في القضاء والقدر.

لأن هذا الخطاب يقال لكل من اسودَّ وجهه بكافة طوائفهم؛ فدلَّ على أنهم كلهم مرتدون، وليس ثمة إيمان يجمعهم جميعاً ارتدوا عنه إلا يوم الميثاق.

ومن هنا قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (ما من آية في كتاب الله أشد على أهل الأهواء من هذه الآيات، وأي كلام أبين من هذا؟!).

٣- وقول الله تعالى: (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ).

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (كان في علمه يوم أقروا له بالميثاق، من يكذب به ومن يصدق).

٤- وقول الله تعالى: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ).

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (العهد: الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم).

وقال: (علم الله يومئذ - أي: الميثاق - من يفي ممن لا يفي).

٥- وقول الله تعالى: (وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا).

قال مجاهد: (هو ميثاقه الذي واثق به بني آدم في ظهر آدم عليه السلام).

٦- وقول الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

قال مجاهد: (قوله: (وقد أخذ ميثاقكم). أي: في ظهر آدم).

٧- وقول الله تعالى عن أهل النار: (قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَنْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَنْتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ).

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية: (خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق، وقرأ: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)، حتى بلغ: (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون). قال: فكساهم العقل، وأخذ عليهم الميثاق. فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم، ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم، ثم

أحياءهم يوم القيامة، فذلك قول الله: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) وقرأ قول الله: (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً). قال: يومئذ. قال: وقرأ قول الله: (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلمتم سمعنا وأطعنا). اهـ

٨- وقول الله تعالى: (وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ). أي: من قد آمن في وادي نعمان يوم أخذ الميثاق.

٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً قال: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان - يعني: بعرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذرر، ثم كلمهم قُبلاً، قال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ). رواه أحمد.

١٠- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً - وفي لفظ، قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلا أن تشرك بي). متفق عليه.

فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا، فهو مؤمن ومن لم يوف به فهو الكافر.

١١- وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت). رواه البخاري.

قوله: (وأنا على عهدك ووعدك). يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية. وأراد بالوعد ما قاله على لسان نبيه ﷺ: إن من مات لا يشرك بالله شيئاً وأدى ما افترض عليه أدخله الله الجنة.

١٢- وعن يزيد بن أبي مرجم، قال: (مرّ عمر بن الخطاب بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهنّ المنجيات: الإخلاص وهو: الفطرة، (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)، والصلاة وهي: الملة، والطاعة وهي: العصمة. فقال عمر: صدقت). رواه ابن جرير.

باب: مثل هذه الآيات الست

وقول الله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

وقول الله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ). والأمثال جند من جند الله تعالى. فمثل هذه الآيات الست كمثال رجل أراد أن يرسل ابنه من بلده إلى (مكة) وهو لا يرضى له الضياع والهلاك، فأراد أن يعصم هذا الابن بست عصم لئلا يهلك ويضيع، وإن ضاع الابن معها فإن نفس الأب تطيب؛ لأنه قد فعل كل شيء من أجله، وهذه الست هي:

الأولى: أنه أرسله في الليالي البيض القمراء التي يكون الطريق وما حوله فيها مضيئاً قريباً من ضوء النهار، وحدود الطريق ومعالمه واضحة، فإن طلعت الشمس فهو نور على نور، وستظهر بطوعها تفاصيل الأشياء. فالضيء كمصباح العقل، والشمس كبعثة الرسل بالتفاصيل. كما في آية النور.

الثانية والثالثة: أنه علمه بعلامات كثيرة في نفسه وفي الآفاق من حوله؛ تثبته على الطريق وتورثه اليقين وإن قلَّ سالكوه، فهذا مثال آيات الأنفس والآفاق.

الرابعة: أنه أوقفه على الطريق الأعظم الذاهب إلى (مكة) وأوصاه ألا يفارق هذا الطريق مهما تركه الناس، ومهما كثرت الطرق الجانبية من حوله؛ فهذا مثال الصراط والقطر. **الخامسة:** أنه أخذ عليه الموثيق المؤكدة والشهود العدول؛ ألا يدع الطريق الأعظم الذي أوقفه عليه، مهما كانت الظروف ومهما تركه الناس، فهذا مثال الميثاق.

السادسة: أنه أرسل خلفه رجلاً وأمره كلما رأى ابنه يهجم بالخروج عن الطريق أن يوقفه ويحذره ويذكره، وهذا مثال لمة الملك وواعظ الصراط.

فإن ضاع الابن بعد هذا كله، فهل يكون الأب ظالماً له؟ حتى لو قال: لم تطلع الشمس! وما هي إلا نور على نور. (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). وهو أرحم وأحكم وأعلم. وقول الله تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ).

باب: فائدة هذه الآيات الست في إزاحة الأعدار وكشف الشبهات

لهذه الآيات الست فائدة عظيمة في مضادة شبهات المشركين واحتجاجهم على ربهم؛ فكل آية منها تفسد شبهة عظيمة لهم. وهذا ببيانها:

الأولى: إذا احتج العبد بزمانه ومكانه وبيئته وأشياخه وآبائه وأنهم أضلوه.
قال الله: (أخذت منك الميثاق قبل ذلك).

الثانية: إذا احتج العبد بالهوى وصعوبة مخالفة الواقع.
قال الله: (أعطيتك الفؤاد وغريزته العقل؛ لتكافح الهوى وتطفئه).

الثالثة: إذا احتج العبد باشتباه السبل والطرق عليه.
قال الله: (وضعتك على الصراط المستقيم أول مرة).

الرابعة: إذا احتج العبد بإضلال شياطين الإنس والجن له.
قال الله: (أيدتك بملك يضادهم، فأطعتهم وعصيت الملك).

الخامسة والسادسة: إذا احتج العبد بكثرة الشبهات التي حملته على الشرك.
قال الله: (بثت لك الآيات في الأنفس والآفاق تضاد الشبهات).

- ١ - وقول الله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).
- ٤ - وقول الله تعالى: (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين - وما كان له عليهم من سلطان).

باب: السبب الحقيقي لعدم الانتفاع بالآيات الست

- ١- وقول الله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحُ الْحَكِيمِ).
- ٢- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَلَكِنْ مَتَّعْنَاهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا).
- ٥- وقول الله تعالى: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّبِعِ تَوْفِيقَهُ . كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَأَتَّخِذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا). ومثلها قوله تعالى (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقول الله تعالى: (ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا). قال بعض المفسرين: "وفي هذا حصر طريقي معرفة الله في الآيات والنذر".
- ٧- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).
- ٨- وقول الله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ).
- ٩- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ).
- ١٠- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى).
- ١١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).
- ١٢- وقول الله تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ).
- ١٣- وقول الله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ).

باب: الآية السابعة: وهي الرسل والنذر

وهذه الآية زيادة مئة وفضل من الله ولا تجب عليه سبحانه وتعالى؛ فقد قامت حجته بالآيات الست.

١ - وقول الله تعالى: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

٢ - وقول الله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي).

وهذه الآية لها فوائد سبع:

الأولى: أنه سبحانه علق على إرسال الرسل عذاب الدنيا إما بالخزي منه بالعقوبات السماوية ، وإما بالخزي بأيدينا بالقتل للمقدور عليه المرتد، والقتال للممتنع، كما أنه علق الحكم على المشرك بالكفر والشرك والنار بالآيات الست.

١ - وقول الله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ). إلى قوله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ).

٢ - وقول الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ وَنُخْزَى).

٣ - وقول الله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ).

٤ - وقول الله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

٥ - وقول الله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا . وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا).

٦ - وقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ).

٧ - وقول الله تعالى عن نوح أول رسول للبشر: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

الثانية: التذكير بالآيات الست، وهو غير واجب على الله.

١ - وقول الله تعالى عن نوح (إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ)

٢ - وقول الله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ).

٣- وقول الله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

٤- وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: (سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي).

ولما كانت هذه الآية لمجرد التذكير بأصل الملة وتفصيل فروعها؛ تفاوت فيها الخلق، بخلاف الآيات الست الأولى حيث يكونون فيها كألسنان المشط، -والله حكم قسط؛ هلك المرتابون-؛

فمن الآدميين من يكونون في قرية واحدة صغيرة ويبعث الله لهم ثلاثة رسل.

وقول الله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ- إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث).

ومنهم من يكونون هم أكثر أهل النار وأعدادهم تفوق الحصر، ومع ذلك لا يبعث لهم من الرسل ما يوازي ذلك؛ كياجوج ومأجوج.

ومن الآدميين من يدرك الرسول ويراه، ومنهم من يكون بينه وبين آخر رسول لأتمته آلاف السنين كوالدي رسول الله ومن قبلهم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أين أبي؟ قال "في النار". قال: فلما رأى ما في وجهه قال: "إن أبي، وأباك في النار". رواه أحمد ومسلم.

ومن الآدميين من يعيش في أم قرى فيوافق مكان رسول، ومنهم من يكون في قرية نائية في مشرق الأرض أو مغربها وبينه وبين مكان الرسول آلاف الأميال.

وقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا).

وقول الله تعالى: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا).

وقول الله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا).

ومن الخلق من يأتيه رسول ومنهم من يأتيه نبي ومنهم من يأتيه نذير.

وقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ).

وقول الله تعالى عن الجن: (فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ).

ومن الخلق من يبعث الرسول من جنسه، ومنهم من لا يبعث من جنسه كالأعراب والجن والنساء.

وقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى).

الثالثة: البشارة والندارة بنعيم الآخرة وعذابها

- ١- وقول الله تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).
- ٣- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا).

الرابعة: الشهادة على الخلق

- ١- وقول الله تعالى: (وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ).
- ٢- وقول الله تعالى: (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا).
- ٣- وقول الله تعالى: (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ).

الخامسة: الدعوة إلى الله تعالى والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

- ١- وقول الله تعالى: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا).
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي).
- ٣- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبُ).
- ٤- وقول الله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

السادسة: التعليم والتركية وبيان تفاصيل الملة

- ١- وقول الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ).
- ٢- وقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).
- ٣- وقول الله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).
- ٤ - وعن أبي هريرة مرفوعاً، قال: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق). رواه أحمد.

السابعة: قطع ألسنة البشر عن الجدل

١ - وقول الله تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).

والحجة في لسان قريش وأكثر ما تأتي في القرآن بمعنى (الجدل) فهذه الآية مماثلة لقوله تعالى: (لا حجة بيننا وبينكم) وقوله تعالى (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ لِمَا شِطْرَهُ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ).
وقول الله تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ). أي: منفكين عن الجدل.

٢ - وقول الله تعالى: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا).

٣ - وقول الله تعالى: (أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ).

٤ - وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه مرفوعاً: (ليس أحدٌ أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل - وفي رواية: وذلك أنه اعتذر إلى خلقه -). متفق عليه.

باب : الحقائق السبع

مما تقدم تتبين حقائق سبع هي :

الأولى: أن من جاءه نذير فهذا مزيد حجة عليه، ومن لم ينذر فلا حجة له، كمثل حديث: (أعذر الله لرجل بلغه ستين سنة) ولا يعني أن من لم يبلغ الستين فله على الله حجة، والحكم بالظلم لا يتوقف على الإنذار حتى في حقوق الناس؛ فمن جحد حقوق الناس فهذا ظالم ولو لم يأته نذير.

الثانية: أنه يكون بين أظهر المشركين من يبقى على الأمر الأول وسط بحر الظلمات وهذا أبلغ حجة عليهم وعن ابن شهاب، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: لقيت زيد بن عمرو بن نفيل، وهو خارج من مكة، يريد حراء، وأنا داخل مكة، فإذا هو قد كان بينه وبين قومه شيء في صدر النهار، لما أظهر من خلفهم، واعتزال آلهتهم، وما كان يعبد آباؤهم فقال لي: يا عامر بن ربيعة، إني قد فارقت قومي، وأتبعت ملة إبراهيم، وما كان يعبد إسماعيل من بعده؛ كان يصلي إلى هذه البنية، وأنا انتظر نبيا من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ثم من بني عبد المطلب، وما أراني أدركه، وأنا أومن به، وأصدق به وأشهد أنه نبي، فإن طال بك يا عامر مدة، فأمن به، وأقرته مني السلام، وسأخبرك ما نعتته حتى لا يخفى عليك، قلت: هلم قال: هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليس يفارق عينيه حمرة، خاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرج قومه، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب، فيظهر أمره، فأياك أن تخذعن، فأني طفت البلاد أطلب دين إبراهيم، فكل من سألت من اليهود والنصارى يقولون: هو الذي وراءك، وينعتونه لي مثلما نعتته لك، ويقولون: لم يبق نبي غيره، قال عامر بن ربيعة رضي الله عنه: فوقع الإسلام في قلبي، فلما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت رجلا حليفا فلم أقدر على اتباعه ظاهرا، فأسلمت سرا وكنت أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول زيد بن عمرو رضي الله عنه، وأقرته منه السلام، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليه، ويترحم عليه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت في الجنة يسحب ذيوها"

الثالثة: أن الرسل والنذر حجة من حجج الله على عباده وليست هي الحجة الوحيدة وقول الله تعالى: (فإن زللتهم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم).
وقول الله تعالى: (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون).

الرابعة: أن الآيات والنذر لا تغير من قدر الله السابق شيئاً

وقول الله تعالى: (وَمَا تُعْنِي الآياتُ وَالتُّنذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ).

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

والآية الجامعة الفاذة قول الله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ).

وهي الآية التي طال وقوف الصحابة والتابعين عندها، وأزهقوا بها باطل أهل الأهواء، فلن يشرك ويموت على شركه إلا المكتوب في الأزل أنه من أصحاب الجحيم، وعلم الله به لا يتغير. ولو أرسل الله له رسولا خاصاً فلن ينتفع.

وقول الله تعالى عن نوح عليه السلام: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

وقول الله تعالى: (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم).

الخامسة: الشرك أعظم الفتن

وقول الله تعالى: (حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً). أي شرك.

وقول الله تعالى: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ). أي الشرك.

وفي حديث حذيفة مرفوعاً بيّن عليه الصلاة والسلام كيف تقع الفتنة فقال: (تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير، فأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى يصير القلب على قلبين أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربد كالكوز مجخياً- وأمال كفه- لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه). رواه أحمد.

والمفتون لا يحتاج لكبير عناء لفتنته بل هو ميسر لها.

وقول الله تعالى: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).

وقول الله تعالى عن الشيطان: (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَكُومُوا أَنْفُسَكُمْ).

السادسة: أن من لم ينتفع بالآيات الست لم ينتفع بالرسول
 وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ).
 وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ).
 وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ).
 وقول الله تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ).
 وقول الله تعالى: (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).
 وقول الله تعالى: (رَبَّنَا أَخْرِتْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ).

السابعة: أن الحججة في التوحيد وأصل الملة لا تتوقف على السمع أبداً
 فقد تبين مما مضى أن الله أقام عليه حججاً ملأت السهل والجبل، ولا تتوقف الحججة فيه على الرسالة أو
 البشر فضلاً عن فهم الرسالة.
 وقد قص الله علينا عن ذي القرنين أنه بلغ مغرب الشمس ووجد عندها قوماً وحكم فيهم بقوله:
 (أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً- وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى
 وسنقول له من أمرنا يسرا).
 وهذا بخلاف الأمور التي يكون طريقها السمع فهذه لا تقوم الحججة إلا بالسمع إلا إن كان ثمة إعراض.
 وأول هذه الأمور الجزء الثاني لكلمة التقوى وهو شهادة أن محمداً رسول الله.
 وفي حديث أبي موسى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا
 يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

باب: أدلة جزء كلمة التقوى الثاني

شهادة (محمد رسول الله) لا تنفع إلا باليقين بها؛ لئلا يسأل العبد في قبره: (ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: لا دريت، ولا تليت، ولا اهتديت) رواه أحمد.

ولأن زيادة اليقين تثمر زيادة الاسترسال مع رسول الله مطلقاً. وكمال محبته وطاعته ومتابعته، واستعظام مخالفته.

والعرب هم أشد الناس ذكاءً وأصدقهم فراسة وهم يفرقون بين النبي والمنتبي، وكلامهم في أنه صادق كثير، ولكل واحد من الصحابة طريقته في التأكد من أن محمداً رسول الله. والأدلة على أن محمداً رسول الله كثيرة لكن أعظمها سبعة:

الأول: كتابه الذي أنزل عليه وهو القرآن

فهو أعظم أدلة نبوته على الإطلاق، وأقطع شيء لألسنة البشر لعجزهم عن الإتيان بمثله، ولأنه دليل لكل الأجيال الذين رأوه والذين لم يروه.

١- وقول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ).

٢- وقول الله تعالى: (قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).

٣- وقول الله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنِ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

٤- وقول الله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا).

٥- وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة). رواه مسلم.

الثاني: شهوده

والشهود على رسالته ونبوته أكثر؛ أولهم رب العالمين- الشهيد على كل شيء- إذ كيف يأذن لأحد أن يدعي النبوة وهو كاذب ثم لم يزل ينصره ويعلي كلمته، بل ويعصمه من أعدائه.

١- وقول الله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ).

٢- وقول الله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ).

٣- وقول الله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً).

٤- وقول الله تعالى عن عيسى عليه السلام: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ).

٥- وقول الله تعالى: (وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).

٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثْتُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"، قَالَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَأَلْتُكَ وَمُعَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: "لَا أَحَدٌ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ" قَالَ: أَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَاتِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ" قَالَ: فَأَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَاتِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ"، قَالَ: فَأَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَاتِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ" قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةَ فَرِيضَةً: الزَّكَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْحَجَّ، وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا يُنَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُودِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَقْصُ، قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى بَعِيرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَلَّى: "إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ"

قال: فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ

به أن قال: بئست اللات والعزى، قالوا: مه يا ضمأم، اتق البرص والجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به، ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً قال: يقول ابن عباس: "فما سمعنا بوفد قوم كان أفضل من ضمأم بن ثعلبة" أخرجه أحمد والبخاري

الثالث: وصاياه

١ - وقول الله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٌ تَحْنُ نُرْزِفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

٢ - وعن عكرمة بن عمارة، حدثنا شداد بن عبد الله أبو عمارة، ويحيى بن أبي كثير، عن أبي أمامة - قال عكرمة، ولقي شداد أبا أمامة، ووائلته، وصحب أنسا إلى الشام وأنتى عليه فضلاً وخيراً - عن أبي أمامة، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جُراءً عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك، قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حُرٌّ، وعبد»، قال: ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني»، قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة،

وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفْرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

٣- وعن عبد الله بن سلام قال : (لما أن قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وانجفل الناس قبله فقالوا قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فجئت في الناس لأنظر إلى وجهه فلما أن رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعت منه أن قال يا أيها الناس أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام).

الرابع: معجزاته

وقد رأى من عاصره من معجزاته ما يورث برد اليقين بأنه رسول الله حقاً؛ كتفجير الماء من بين أصابعه، والبركة في الطعام الذي يُبرِّك عليه، ونطق الشجر والحجر والحيوان. وقول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). وقد جمع الناس دلائل نبوته ومعجزاته.

الخامس: نسبه وخلقته وخاتم نبوته.

وعن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم). رواه أحمد. ومن تأمل خلقته وجدها أكمل حلقة في كل عضو من أعضائه على أحسن ما أنت راءٍ من الرجال، ثم خاتم النبوة كبيضة الحمامة بين كتفيه. وهذا الاختيار لنسبه، والتصوير لخلقته، قبل أن يبعث أعظم دليل على نبوته، وأعظم حفظ لها من طعن الطاعنين ولمز اللامزين.

السادس: خلقه وصدقه وأمانته

من تأمل الكمال التام لرسول الله في كل خلق من الأخلاق مطلقاً أيقن أنه هذا لا يؤتاه إلا نبي يهيب لأعباء عظيمة.

وأحوج ما تحتاجه النبوة ووراثة النبوة خلقان هما:

الصدق: فلا يكذب مطلقاً.

والأمانة: فلا يخون مطلقاً.

وهذان الخلقان قد أجمع الخلق على اتصافه بما قبل بعثته حتى لم يكونوا يسمونه إلا الصادق الأمين. والنبوة بالذات لا ينالها إلا أصدق الصادقين ولا يدعيها إلا أكذب الكاذبين ولا يخفى ذلك إلا على أجهل الجاهلين.

وقول الله تعالى: (وإنك لعلی خلق عظیم).

السابع: سيرته في الجاهلية والإسلام

أما في الجاهلية فالآية في حفظه أربعين سنة أن تحفظ عليه هنة أو كشف عورة أو زلة أو صبوة مع عيشتة في بحر الظلمات.

وأما في الإسلام فتطابقت سيرته مع سيرة الأنبياء قبله تمام.

وقول الله تعالى: (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ).

ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورقة بن نوفل بالذي رأى من شأن الوحي، قال له ورقة: (هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به قط إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا). رواه أحمد والبخاري.

وعن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس، أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادًا فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعاهم بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبًا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إنني سأئل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبتني فكذبوه. فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا علي كذبًا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يعدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها،

قَالَ: وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ
 كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ:
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرِكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ
 وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ
 تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ
 هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلِ قَبْلِهِ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،
 قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكًا أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ
 أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرَفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.
 وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ
 أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَّرْتَدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً
 لَدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدُرُ،
 فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدُرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
 تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا
 فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي
 أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ " أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ